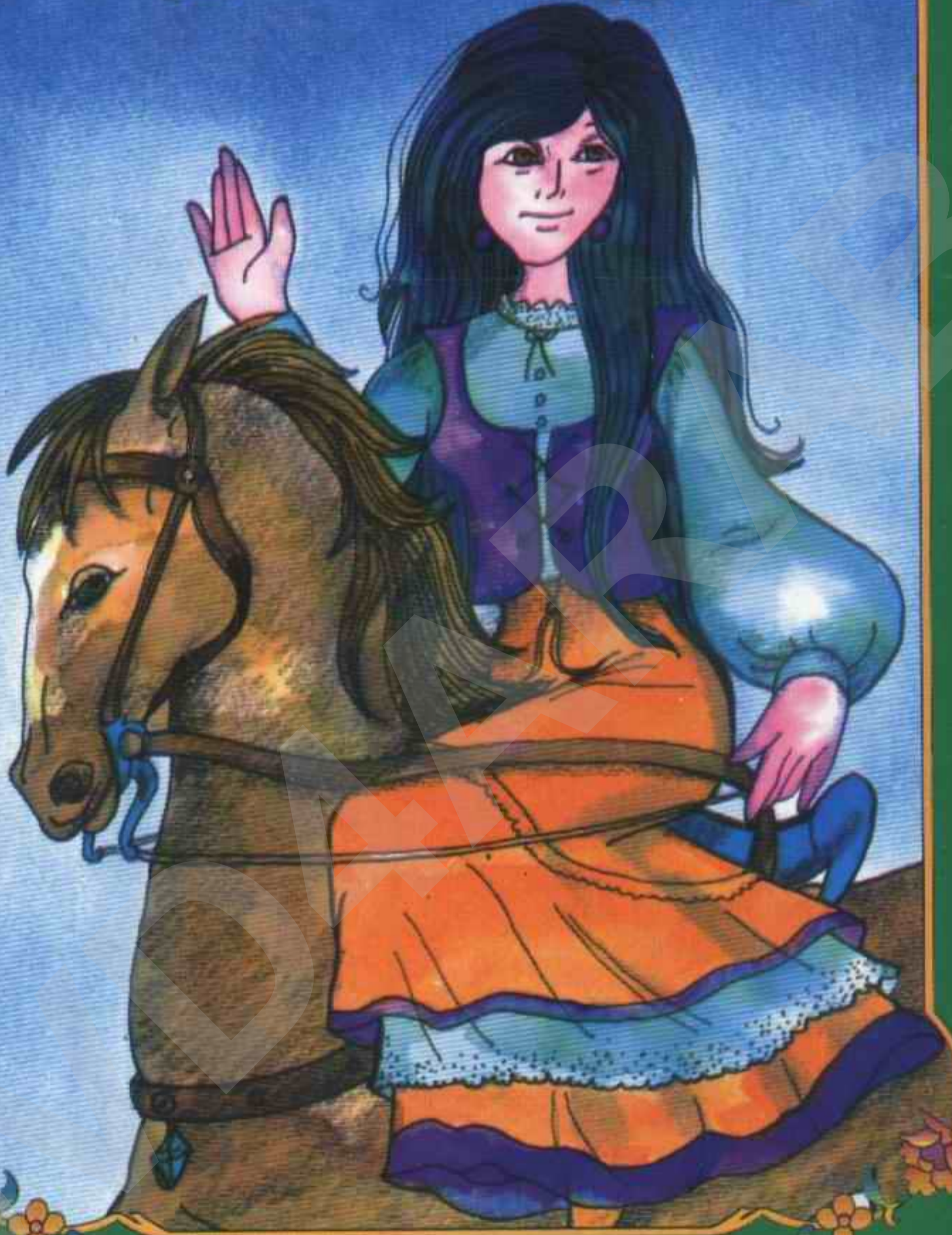


المكتبة الخضراء للأطفال

٦٠

الأميرة المخطوفة



رسوم

فريدة عويس



دار المعارف

تأليف

د. منى عثمان

المكتبة الخضراء للأطفال

٦٠

الأميرة المخطوفة



رسوم
فريدة عويس

تأليف
دكتورة منى عثمان



دارالمعارف

كَانَ يَأْمَا كَانَ، فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ فِي، قَرْيَةٍ صَغِيرَةٍ بَعِيدَةٍ تَعِيشُ أُسْرَةٌ
صَغِيرَةٌ، مَكُونَةٌ مِنْ فَتَى عُمُرِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا اسْمُهُ فَهْدٌ، وَأُخْتُهُ
الَّتِي تَصْغُرُهُ بَعَامِينَ اسْمُهَا لَيْلَى، وَوَالِدَتُهُمَا الْقَرْوِيَّةُ الطَّيْبَةُ الْحَنُونُ
الَّتِي يُنَادِيهَا أَهْلُ الْقَرْيَةِ « أُمُ فَهْدٍ ».

كَانَ بَيْتُهُمُ الرَّيْفِيُّ يَقَعُ وَسَطَ بَيْوتِ الْفَلَاحِينَ الْمَتَنَاطِرَةِ هُنَا وَهُنَا
... وَكَانَ يُحِيطُ بِالْبَيْتِ مَزْرَعَةٌ صَغِيرَةٌ .. وَعَلَى جَانِبِ الْمَزْرَعَةِ يُوجَدُ
إِسْطَبْلٌ صَغِيرٌ بِهِ جَوَادَانِ، أَحَدُهُمَا اسْمُهُ لَيْلَى، وَكَانَ أَسْوَدَ سَوَادًا حَالِكًا
كَاللَّيْلِ، وَفَرَسَةٌ اسْمُهَا شَهْبَاءُ .. بُنْيَةُ اللَّوْنِ، لِأَمْعَةٍ جَمِيلَةِ الْمَنْظَرِ،
وَفِي جَبِينِهَا بَقْعَةٌ بِيضَاءُ زَادَتْهَا جَمَالًا عَلَى جَمَالِهَا.

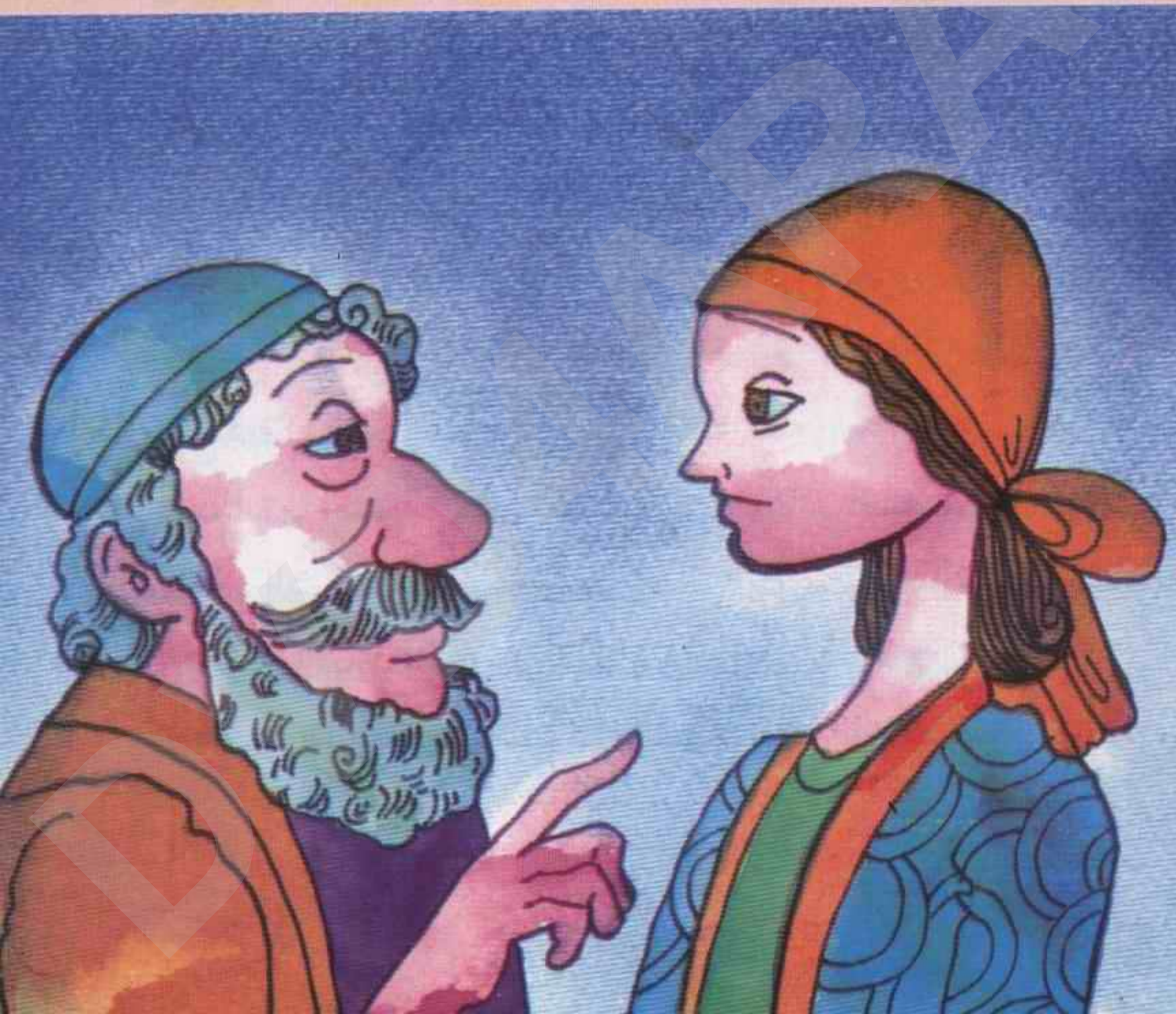
وَفِي الْأَمْسِيَّاتِ الدَّافِئَةِ، كَانَ فَهْدٌ وَلَيْلَى يَمْتَطِيَانِ الْجَوَادَيْنِ،
وَيَتَجَوَّلَانِ فِي الْأَحْرَاشِ الْمَحِيطَةِ بِالْقَرْيَةِ، يَتَنَزَّهَانِ وَيَجْمَعَانِ بَعْضَ
الْأَعْشَابِ وَالزُّهُورِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي يَسْتُخْدِمُونَهَا فِي صِنَاعَةِ الصَّابُونِ .. فَقَدْ
كَانَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ - جَمِيعًا - يَعِيشُونَ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ، وَكَانَتْ هَذِهِ
الْأُسْرَةُ تَقُومُ بِعَمَلِهَا بِاجْتِهَادٍ وَحُبٍّ، فَتَفُوقُوا عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ
فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْبَسِيطَةِ.

كَانَ فَهْدٌ يَذْهَبُ كُلَّ أُسْبُوعٍ إِلَى السُّوقِ الْبَعِيدِ، لِيَبِيعَ مَا يُنْتِجُونَهُ
مِنْ صَابُونٍ وَمَحَاصِيلِ زِرَاعِيَّةٍ وَيَشْتَرِي مَا يَخْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَقْمِشَةِ
وَالْأَوَانِي الْمَنْزِلِيَّةِ وَالسُّكَّرِ وَالْإِحْتِيَاجَاتِ الْآخَرَى الَّتِي تُوصِيهِ بِهَا
وَالِدَتُهُ وَأُخْتُهُ. وَكَثِيرًا مَا كَانَتْ لَيْلَى تَتَشَبَّثُ بِهِ وَتُصَمِّمُ عَلَى الذَّهَابِ
مَعَهُ إِلَى السُّوقِ، فَيَأْمُرُهَا بِارْتِدَائِهِ بَعْضًا مِنْ مَلَابِسِهِ، وَيَلْفُ عِمَامَةً



صغيرةً لتُخفي خَصَلاتِ شعرها الفَاحِم الطويل فتَظْهَر بمَظْهَرِ الفَتِيانِ،
وَذَلِكَ لَخَوْفِهِ عَلَيْهَا مِنْ أَنْ يُصِيبَهَا مَكْرُوهٌ أَوْ أَذَى مِنْ شَرِّ النَّاسِ.
وَفِي إِحْدَى الْأَمْسِيَّاتِ، بَيْنَمَا كَانَتِ الْأُمُّ جَالِسَةً تَجَازِبُ وَلَدِيَّهَا
أَطْرَافَ الْحَدِيثِ ظَهَرَ رِجْلُ ضَخْمٍ، أَسْنَانُهُ بَارِزَةٌ بِشَكْلِ مُخِيفٍ،
وَتَبَدُّو الْغِلْظَةَ وَالشَّرَاسَةَ عَلَيْهِ... وَمَا إِنْ رَأَتْهُ الْأُمُّ حَتَّى قَفَزَتْ مِنْ
مَكَانِهَا وَارْتَدَّتْ لِلْخَلْفِ مَذْعُورَةً.
- أوه... أهذا أنت؟

تَسْمَرَ الصَّغِيرَانِ مَكَانَهُمَا وَهَمَّا لَا يَفْقَهُانِ شَيْئًا.
ارْتَفَعَ صَوْتُ الرَّجُلِ الْأَجَشِّ وَهُوَ يَتَقَدَّمُ مِنَ الْأُمِّ:
- نَعَمْ أَنَا بِشَحْمِي وَلَحْمِي ... مَا لِكَ تَنْظُرِينَ إِلَيَّ هَكَذَا؟ أَلَسْتَ فَرِحَةَ



لعودتي بعد الغياب الطويل؟! .

التفتت الأم لولديها وقالت بلهجة حزينة:

- هيا إلى الداخل مع والدكما .. تقدمهم الرجل بخطى سريعة ثابتة إلى داخل البيت .. وتبعوه بخطى بطيئة خائفة وهم يتبادلون نظرات مملوءة بالدهشة والخوف .. ثم التفت الرجل إلى أم فهد وبلهجة أمرية قال:

- دعاهم يخلدون للنوم فلي حديث معك ..

أومأت الأم برأسها فانصرفا إلى الغرفة المجاورة، ولكن كلاً منهما لم يحاول الاسترخاء في فراشه، وإنما كانا يستمعان لحديثهما، خوفاً على أمهما من أن يلحق بها أذى ... بقي الرجل ساكناً برهة والأم تطالعه بقلق وخوف ثم قال:

- تعلمين أن هذه الفتاة ليست ابنتنا... تشبثت كفاً ليلي وفهد،

وتبادلاً نظرة ذات معنى وقد اتسعت أعينهم ...

جاء صوت الأم ضعيفاً... ولكنك أقيت بها في حجرى منذ أن كانت

رضيعة...

فصاح فيها بغضب:

- نعم أيتها الشقية، فقد اختطفها أحد أصدقائي الماهرين من أبيها

ملك البلاد الشرقية بمساعدة أحد رجال القصر، ليطلب فدية كبيرة

مقابل إعادتها لبلادها.. ونظر إليها بحسرة ثم أكمل حديثه وقال:

- وكانوا سيعطونني ثلث هذه الفدية، ولكن للحظ التعس مات

صديقي قبل أن يكشف لي عن شخصيَّة شريكه... فماذا كنتُ أفعلُ؟
هل أعيدها للملك حتى يقطع رقبتي.. صاحت فيه الأمُّ وهي تبكي:
- يالكم من مجرمين.. اختطفتم هذه المسكينة من أبيها ملك البلاد
الشرقيَّة... لم تخبرني بهذا من قبل!؟
زَمَجَرَ الرجلُ مُهدداً:

- لا أريدُ أيةَ مشاكلٍ في حياتي.. ألقى بهذه الشقيَّة خارجَ البيتِ،
ويكفي أني ابتعدتُ عن البيتِ سنواتٍ طويلةً..
صرخت المرأةُ بغضبٍ وهي تبكي:
- ليتك لم تعد أبداً...

فلطمها بقسوة.. وانطلق فهد ليحول بينه وبين أمه التي لم تكفَّ
عن الاتهاماتِ والصياح، والأب يُزَمَجِرُ ويحاول سربها لولا وجودُ
فهد الذي أمسك بيده بقوةٍ وصاح فيه:
- اخرج من هنا..

نظر إليه الأب بتحدٍ واستهزاءٍ وقال:
- لن أخرج أيها الولد الذي لم تحسن أمك تربيته... كيف تطردُ
أباك ولم يبق له مَلَانٌ إلا هذا البيتُ!؟
جذبتَه أمه إلى الخلفِ ثم جلست على أحد المقاعدِ واحتضنته
وهي تبكي بكاءً مُرّاً... ثم كفت فجأةً عن البكاءِ، وكأنها تذكرت شيئاً
وتساءلت بخوفٍ:



- هَلْ سَمِعْتَ لَيْلَى شَيْئًا؟! هَزَّ فُهْدُ رَأْسَهُ بِالْإِجَابِ فِي صَمْتٍ
حَزِينٍ.. وَأَنْطَلَقَتِ الْأُمُّ لِلْغُرْفَةِ فَوَجَدَتْهَا خَالِيَةً.. فَصَاحَتْ بِهَلَعٍ..
فُهْدُ.. ابْحَثْ عَنْهَا بِالْخَارِجِ.. أَنْطَلَقَ فُهْدٌ لِتَوَّهِ فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا..
ثُمَّ خَطَرَ لَهُ خَاطِرٌ، فَأَنْطَلَقَ لِحَظِيرَةِ الْجِيَادِ، فَلَمْ يَجِدْ شَهْبَاءَ
مَكَانَهَا... وَظَهَرَ لَهُ لَهُ الْحَقِيقَةُ الْمَوْلَمَةُ.. لَيْلَى تَرَكَتِ الْبَيْتَ مَمْتَطِيَةً
شَهْبَاءَ وَحِيدَةً فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ.. أَنْدَفَعَ كَالْمَجْنُونِ يَمْتَطِي حِصَانَهُ لَيْلًا،
وَأَنْطَلَقَ إِلَى الْأَحْرَاشِ الْمَحِيطَةِ، يَبْحَثُ عَنْ لَيْلَى وَصَوْتِ أُمِّهِ يَأْتِيهِ مِنْ
خَلْفِهِ عَالِيًا وَهِيَ تُنَادِيهِ، وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ التَّوَقُّفَ لِيَلْحَقَ بِأَخْتِهِ..
كَانَتْ لَيْلَى تَمْتَطِي صَهْوَةً شَهْبَاءَ وَدَمُوعُهَا تَتَسَاقَطُ بِغَزَارَةٍ، وَنَسِيمٌ



اللَّيْلِ الْبَارِدِ يَلْفُحُ وَجْهَهَا الصَّغِيرَ.. ظَلَّتْ فِي انْطِلَاقِهَا حَتَّى اقْتَرَبَتْ
مِنَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ..

وَهَنَّاكَ رَأَتْ رَجَالًا كَثِيرِينَ يَرْكَبُونَ وَيَحْمِلُونَ مَتَاعَهُمْ، فَبِسْرَعَةٍ أَمْسَكَتْ
بِالشَّالِ الَّذِي كَانَتْ تَلْتَفُّ بِهِ، وَلَفَّتَهُ كَالْعِمَامَةِ حَوْلَ رَأْسِهَا وَهَمَسَتْ إِلَى
شَهْبَاءَ لَتَبْتَعِدَ سَرِيعًا، وَلَكِنْ لِسُوءِ الْحِظِّ لَمَحَهَا بَعْضُهُمْ، وَلَحَقُوا بِهَا
سَرِيعًا وَأَمْسَكُوا بِهَا، فَتَسَاءَلَ أَحَدُهُمْ بِاسْتِغْرَابٍ: فَتَى صَغِيرٍ؟
صَاحَ بِهِ الْآخِرُ:

– يَا لَكَ مِنْ فَتَى جَرِيٍّ، أَتَأْتِي لِهَذِهِ الْبَقْعَةِ وَحِيدًا؟!

ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى الْآخَرِينَ: انظُرُوا يَا رِفَاقِي وَجَدْنَا رِبْحًا وَفِيرًا.. فَتَى
يَمْتَطِي حَصَانًا هِنَا.. عَلَتْ صِيحَاتُ رِفَاقِهِ الْفَرَّحَةِ، وَقَلْبُ لَيْلَى يَضْطَرِبُ
مِنَ الْخَوْفِ وَهِيَ لَا تَدْرِي مَاذَا يَقْصِدُونَ بِكَلَامِهِمْ هَذَا؟!

وَسُرَّعَانَ مَا انْقَضُوا عَلَيْهَا وَأَحْكَمُوا وَثَاقَ يَدَيْهَا وَرَجَلَيْهَا وَكَمَّمُوا فَمَّهَا
حَتَّى لَا تَسْتَطِيعَ الصُّرَاخَ... وَسَحَبُوا مَعَهُمْ فَرَسَتَهَا شَهْبَاءَ الَّتِي حَاوَلَتْ
عَدَمَ الْإِنْصِياعَ لَهُمْ، فَأَخَذُوا يَلْكَزُونَهَا بِعَنْفٍ حَتَّى شَعَرَتْ بِالْمِ شَدِيدٍ.
وَاضْطَرَّتْ إِلَى الذَّهَابِ مَعَهُمْ.. سَارَتْ قَافِلَةُ اللُّصُوصِ حَتَّى وَصَلَتْ
إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ...

وَهَنَّاكَ اسْتَأْجَرُوا قَارِبًا كَبِيرًا، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْيَابِسَةِ بِالْبَلَدَةِ
الْغَرَبِيَّةِ، فَأَسْرَعُوا جَمِيعًا بِالنُّزُولِ...

وَبِالْقُرْبِ مِنَ الْمِينَاءِ كَانَ هَنَّاكَ سُوقًا مُزْدَحَمًا، بِهِ أَنْاسٌ كَثِيرُونَ فِي
إِنْتِظَارِ تِلْكَ الْقَافِلَةِ اللَّعِينَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْقَوَافِلِ الْمُمَاطِلَةِ... وَأَخِيرًا

فَهَمَّتْ لَيْلَى مَاذَا يُرِيدُونَ ... كَانُوا تِجَارًا لِلْعَبِيدِ أَخَذُوا يَصِيحُونَ بِمِلءِ
أَفْوَاهِهِمْ:

- فَتَى قَوِيٌّ يَسْتَطِيعُ الْعَمَلَ لَيْلًا وَنَهَارًا.. فَتَى مُطِيعٌ، جَمِيلُ الصُّورَةِ مَنْ
يُدْفَعُ فِيهِ سَبْعِينَ؟! دَرَهْمًا...

صَاحَ أَحَدُ الْوَاقِفِينَ:

- أَهَذَا الصَّغِيرُ النَّحِيلُ يَسْتَطِيعُ الْعَمَلَ لَيْلًا وَنَهَارًا؟!!

أَظُنُّ أَنَّهُ سَيَنْكِفِي عَلَى وَجْهِهِ بَعْدَ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْعَمَلِ...

ضَجَّ الْوَاقِفُونَ بِالضَّحْكَ... تَحَيَّرَ التَّاجِرُ وَنَظَرَ لِلَّيْلِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى شَهْبَاءَ

- وَصَاحَ إِنَّ مَنْ مِنْكُمْ يَرِيدُ الْفَرَسَ؟

تَدَافَعَ النَّاسُ لِشِرَاءِ الشَّهْبَاءِ، وَأَخَذُوا يَزِيدُونَ فِي سَعْرِهَا حَتَّى وَصَلَ

إِلَى مَائَتِي دَرَهْمٍ.

أَمَّا لَيْلَى الْمُسْكِينَةُ فَبَعْدَ أَنْ زَهَبَ النَّاسُ جَمِيعًا إِلَى شُئُونِهِمْ، اقْتَرَبَ

رَجُلٌ مُسَنَّ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَاهُ، وَأَخَذَ يُحْمَلِقُ فِيهَا، ثُمَّ سَأَلَ تَاجِرَ الرَّقِيقِ



بصوتٍ ضعيفٍ :

- بكم تبیع هذا الفتی؟

- بسبعین درهماً - فقط - من أجلك - أنت - أيها الشيخ

الطيب...

تقلصت ملامح العجوز، واستدار ببطء، ليعود أدراجهُ فناداهُ التاجرُ:

- لا عليك أيها الشيخ بكم تريده؟

استدار إليه الشيخ العجوز وأجابه ببطء:

- ليس معي إلا خمسة عشر درهماً...

ظهرت خيبة الأمل على وجه التاجر وفتح فمه ليرفض، إلا أن

زميله لكزه بخفة وهمس إليه وقال:

- لنتخلص من هذا الفتى سريعاً؛ لأنه سوف يكلفنا طعاماً وشراباً

ونحن في عجلة من أمرنا... نريد الذهب لخطف بضاعة جديدة..

فدفع تاجر الرقيق بليلى إلى الشيخ، وقبض الخمسة عشر درهماً

وانصرف هو وزميله...

سارت ليلي ببطء وقد آلم قدميها القيد الذي ظلت فيه وقتاً

طويلاً، وفكرت أن تعدوا مسرعةً وتهرب من ذلك الشيخ المسن الذي

اشتراها...

وقبل أن تعقد العزم وتنفذ ما فكرت فيه، تعثر العجوز في مشيته،

وطارت العصا من يده.. فأسرعت ليلي إليه، وأنقضته وأمسكت له

العصا، وأسندته فنظر إليها بامتنان وقال وأنفاسه تتلاحق:

- أشكر يا ولدي... تبدو طيب القلب، وهذا من رحمة الله بي، فأنا وحيد في هذه الدنيا ليس لي أهل ولا أولاد.. وقد هدّنتني الشيخوخة والمرضُ فصرتُ لا أستطيعُ حتى خدمة نفسي...

شعرت ليلي بعطفٍ شديدٍ على هذا الشيخ المسنِّ، ورأت أنه سيكون من العارِ عليها أن تهرب منه وتتركه...

فقررت أن تقوم بما يرضي الله عنها.. وأن تساعدَه ليساعدها الله في محنتها وتصل إلى أبيها...

وصلت ليلي بصحبة الرجل العجوز، إلى بيتٍ قديمٍ في أقصى القرية يبدو الفقرُ والإهمالُ عليه...

دخل العجوزُ مستنداً على ذراع ليلي إلى حجرةٍ بها فراشٌ رثٌ بالٍ موضوعٌ فوق الأرضِ بأحدِ الأركانِ... سرعانَ ما استلقى عليه، وهو مُتقطعُ الأنفاسِ وبصعوبةٍ قال:

- من حظك السيئ أني فقيرٌ جداً، وقد لا نجدُ خبزاً نأكله في بعضِ الأيام... ثم طلبَ قدحاً من الماء...

خرجتُ ليلي إلى فناء البيتِ تدورُ فيه، وتبحثُ بينَ الغرفِ الخاويةِ الخربة.. حتى عثرتُ على بعضِ من الأواني النحاسيةِ متناثرة هنا وهناك..

وفي أحدِ الأركانِ، كانت هناك بعضُ الأقداحِ الفارغةِ المتناثرة... غسلتُ إحداها وملايتها بالماءِ وهرولتُ إلى الشيخِ العجوز... ارتكزتُ ليلي على ركبتيها بجوار فراشِ العجوز، وأسندتُ ظهره بذراعيها

لينهض قليلاً، وقربت قدح الماء من شفتيه... أخذ العجوز يرتشف الماء وهو مغمض العينين، والوهن يبدو عليه. وأخيراً راحت ليلى رأسه على الوسادة المهلهلة، وأخذت تراقب أنفاسه وهو يغط في نوم عميق.

أدارت ليلى عينيها في الغرفة، فوجدت في الطرف الآخر فراشاً لا يقل قذارة ولا قدماً عن فراش العجوز... وظنت أنه فراشها.. وبالرغم من تعبها الشديد إلا أنها لم تستطع النوم فوق هذه الكومة من القاذورات، فأحضرت بعض الأعشاب الجافة من فناء البيت، واستلقت فوقها، وسرعان ما راحت في سبات عميق... استيقظت ليلى في الصباح الباكر...

وأرادت أن تغتسل فسألت العجوز:

- سيدي... ألا يوجد صابون بالبيت؟!

ابتسم الشيخ المسن بحسرة وهو يرفع كفه اليابسة:

- صابون؟ ظننتك ستسأل عن الخبز... أتدري بكم يباع الصابون

هنا؟ يا بني الصابون هنا لا يشتريه إلا الأغنياء.

رفعت ليلى حاجبيها بتعجب!! وقالت:

- لماذا؟ ما الذي رفع ثمنه؟ فتنهد بوهن وأجابها بصوت خافت.

- لا أحد يدري.. كيف؟ يصنع الصابون أخوان كريهان شريان

لا يتورعان عن فعل أي شيء... انتهزا الفرصة ورفعاً سعره جداً...

حتى إن الفقراء مثلنا لا يكاد الصابون يمس جلودهم في حياتهم إلا مرات

مَعْدُودَاتٍ .. هَزَّتْ لَيْلَى رَأْسَهَا ببطءٍ وَذَهَنَهَا يَعْمَلُ بِسُرْعَةٍ وَأَجَابَتْهُ:

- لَا عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي .. فَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ لَكَ رِزْقًا وَاسِعًا... وَلَكِنْ أَسْمَحُ

لِي بِحُرِّيَّةِ التَّصَرُّفِ فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ..

أَغْمَضَ الْعَجُوزُ عَيْنَيْهِ بِتَعَبٍ وَأَجَابَهَا:

- يَا بُنَيَّ هَذَا بَيْتِكَ، وَاعْتَبِرْنِي فِي مَقَامِ أَبِيكَ...

أَسْرَعَتْ لَيْلَى إِلَى بَعْضِ الْأَوَانِي الْكَبِيرَةِ النَّحَاسِيَّةِ، وَسَأَلَتْ عَنْ



الطريق إلى السوق فباعتها، ثم ذهبت إلى العطار لشراء المواد الأولية اللازمة لصناعة الصابون، كما اشترت زيتاً ولم تتمكن من الحصول على الأعشاب والزهور التي كانت تجدها في موطنها، فأخذت بدلاً منها أوراق إحدى الأشجار ذات الرائحة الذكية بفناء البيت...
ثم عادت مسرعة وبدأت في عمل الصابون...

وضعت ليلى الزيت في وعاء كبير فوق النار، وبعد فترة قصيرة أضافت المادة الكيميائية التي اشترتها. وظلت تحرك الخليط إلى أن شعرت بأن السائل بدأ يتحول إلى عجينة، فأضافت عصارة أوراق الأشجار العطرية، واستمرت تحرك الخليط حتى صار كالعجينة،



فأطفأت الموقد وتركتهُ قليلاً ليبرد، ثم صببت الخليط في بعض الصناديق الخشبية التي وجدتُها مُلقاةً في أحد أركان البيت، بعد أن قامت بتنظيفها جيداً...

تركتُ ليلي هذه الصناديق لتجف، ثم أخذت كمية الصابون المتبقية في الإناء، واغتسلت بها، وغسلت الملابس كما اغتسل الرجل العجوز، وصار للبيت رائحة مُنعشة نظيفة..

وفي اليوم التالي قطعت الصابون الجاف بالسكين، ورصته في أحد الصناديق الكبيرة النظيفة، وذهبت إلى السوق بالصندوق وعرضته بثمن ليس مُرتفعاً...

فسرعان ما تخطفته الناس واشتروه كله... فقد كانت المرة الأولى التي يجدون فيها صابوناً بسعر في مُتناول الجميع.. وسرهم جداً رائحته العطرة التي كانت تميزه عن الصابون الذي يبيعه الأخوان الانتهازيان...

حصلت ليلي على ربح كبير، فاشتريت بعض لوازم البيت والمواد الأولية لصناعة كمية أكبر من الصابون كما صنعت دواءً للشيخ المُسن الذي شعر بالسعادة لأول مرة في حياته...

وعندما كان يسأله الفضوليون من الناس: من هذا الفتى؟ كان يجيبهم: إنه ابني، وقد كان مسافراً عند أهل أمه بعيداً.. مرَّ شهرٌ كاملٌ ازدهرت فيه تجارة ليلي، واشترت عربة خشبية لتستخدمها في الذهاب إلى السوق، حتى ترتاح من عناء حمل صناديق الصابون، ثم قصدت إلى سوق المواشي؛ لتشتري فرساً ليجر العربة

الخشبيّة فكانت مُفاجأة لها أن وجدت فرستها الشهباء في السوق
معرضة للبيع فاشترتها وعادت بها وهي تكاد تطير فرحاً.
أما فهد فقد ظلّ يحاول اللحاق بليلى في تلك الليلة المشؤومة حتى
وصل إلى البلدة الغربيّة... وظلّ كل يوم يتجوّل في الطرقات يبحث
عن ليلي. ولحسن الحظ كان في جيبه بعض من المال عندما غادر
البيت، فكان يشتري لنفسه ولفرسه «ليل» الطعام.

وفي أحد الأيام وجد الناس في السوق يتزاحمون ويتصايحون
حول عربة خشبيّة يجلس فوقها فتى يبيع بضاعته... وفجأة أخذ
ليل يصهل ويتحرك مكانه قلقاً، ويدور فانتبه فهد إلى أن العربة
الخشبيّة مربوطة بشهباء فتعالت دقات قلبه وأيقن أنه اقترب من
مكان ليلي...

وبعد فترة قصيرة انتهت ليلي من عملها وانصرفت في طريقها إلى
البيت فتبعها فهد، وهو يظنها أحد الفتيان فما إن خرجوا من السوق
إلى الطرق الجانيّة المتعرجة، حتى شعرت ليلي بأن أحداً يتبعها
فاستدارت ونظرت خلفها.. علت الدهشة وجهها وصاحت:
- فهد أخي.

واندفع كل منهما تجاه الآخر ويلي تبكي، وفهد لا يصدق نفسه وكأنه
في حلم...

وأخيراً تمالك نفسه وقال لها:

- تتخفين في ملابس الفتيان كما علمتك... كفكفت ليلي دموعها



وأجابته:

– سأخبرك بكل شيء ولكن تعال معي فنحن قريبان من البيت...
جلس الإثنان بجوار الشيخ بعد أن أطمأنا على سلامته، وراح كل
واحد منهما يقص على الآخر ما حدث له، والشيخ يتابعهما بعينيه
محاولاً فهم ما يقولانه. وأخيراً ساد الصمت وأطرقا يفكران فيما يجب
عليهما فعله.. قطع فهد الصمت قائلاً:

– لا بد أن تعودى إلى والدك ملك البلدة الشرقية...

التفتت ليلى إلى الشيخ المُسن المسجى أمامها قائلة:

– ولكن لا أستطيع ترك هذا المسكين الذى أحسن إلى، وترك لى
حرية التصرف فى شؤون حياته..

فقال الشيخ المُسن بوهن:

– لا عليكم.. اذهباً ولكن لا تغيباً عنى فترة طويلة... سأحاول أن
أدبر أمرى لحين عودتكما.. ودعا الشيخ المُسن واعتلى كل منهما
صهوة جواده وانطلقا...

وفى الطريق عرجا على السوق لشراء بعض ما يلزمهما فى السفر،
وجلسا ليسترىحا.. وكان يجلس إلى جوارهما بعض من الجنود فسمعا
همس الجنود بأنه صدرت الأوامر من الحاكم باعداد الجيوش لغزو
البلدة الشرقية المليئة بالخيرات.

فقالت ليلى لفهد وهى تنتحب:

– بلدى وأهلى ووالدى الحاكم سيصيبهم الويلات؟! ورفعت وجهها

المبَلَّلَ بِالذُّمُوعِ إِلَى فَهْدٍ وَسَأَلَتْهُ:

– وَمَا الْعَمَلُ الْآنَ؟

– قَالَ فَهْدٌ وَهُوَ يُفَكِّرُ:

– لَا بَدَّ أَنْ نَنْطَلِقَ سَرِيعًا لِلبَلَدَةِ الشَّرْقِيَّةِ، وَنُخْبِرَ الْحَاكِمَ بِكُلِّ شَيْءٍ...
وَبِمَجْرَدِ أَنْ دَخَلَ الْبَلَدَةَ الشَّرْقِيَّةَ اتَّخَذَا طَرِيقَهُمَا إِلَى السُّوقِ، وَقَلْبُ

لَيْلَى يَخْتَلِجُ مِنْ شِدَّةِ الْإِنْفَعَالِ... كَانَ التَّعَبُ وَالْجُوعُ قَدْ نَالَا مِنْهُمَا
الشَّيْءَ الْكَثِيرَ فَمَا إِنْ وَجَدَ فَهْدٌ نَفْسَهُ أَمَامَ أَحَدِ الْمَطَاعِمِ حَتَّى التَفَتَ إِلَى
لَيْلَى قَائِلًا: لَنْقِفَ هُنَا لِنَأْكُلَ شَيْئًا أَوْلًا.

صَاحَتْ لَيْلَى: فَلِنَذْهَبْ لِقَصْرِ الْمَلِكِ، وَهَنَّاكَ سَنَجِدُ أَشْهَى الْأَطْعَمَةِ
وَأَجُودَهَا، فَأَجَابَهَا فَهْدٌ وَهُوَ يَقْفِزُ مِنْ فَوْقِ جَوَادِيهِ:

– سَأَمُوتُ جُوعًا.. هَيَّا لِنَأْكُلِ الْآنَ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّائِقِ أَنْ نَدْخُلَ إِلَى
قَصْرِ الْمَلِكِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ وَنَطْلُبَ الطَّعَامَ...

فَتَبِعَتْهُ عَلَى مَضَى... دَخَلَ سَوِيًّا تَارِكِينَ شَهْبَاءَ وَلَيْلَ مَعًا عِنْدَ الْبَابِ بَعْدَ
أَنْ وَضَعَا أَمَامَهُمَا كَوْمَةً مِنَ الْأَعْشَابِ الَّتِي حَمَلُوهَا مِنْ أَحْرَاشِ الْغَابَةِ...
كَانَتْ لَيْلَى تَجْلِسُ أَمَامَ طَعَامِهَا بِغَيْرِ شَهِيَّةٍ وَلَا تَكَادُ تَأْكُلُ مِنْهُ
شَيْئًا.

فَاسْتَحْتَثَّهَا فَهْدٌ لَتَفْرُغَ مِنْ طَعَامِهَا سَرِيعًا فَتَنْهَدَتْ وَصَاحَتْ
بِضَجَرٍ:

– لَا أُرِيدُ طَعَامًا... أُرِيدُ الْعُودَةَ إِلَى أَبِي الْمَلِكِ، فَسَمِعَهَا صَاحِبُ
الْمَطْعَمِ وَاقْتَرَبَ مِنْهُمَا بِبَطْءٍ قَائِلًا:

– قَدْ أُسْتَطِيعُ مُسَاعَدَتِكَمَا وَلَكِنْ دَعَوْنِي أَفْهَمُ الْمَوْضُوعَ بِالتَّفْصِيلِ...

رَفَعَ فَهْدٌ حَاجِبِيَهُ بِاسْتِغْرَابٍ ثُمَّ رَدَّ بِجَفَاءٍ:

– وَمَا شَأْنُكَ أَنْتَ بِتَفَاصِيلِ الْمَوْضُوعِ !!؟

فَقَالَ الرَّجُلُ مُتَلَعِّثًا:

– حَسَنًا... حَسَنًا.. وَلَكِنِّي أَعْرِفُ قِصَّةً قَدِيمَةً، فَلِلْمَلِكِ ابْنَةٌ كَبِيرَةٌ

خُطِفَتْ وَهِيَ طِفْلَةٌ صَغِيرَةٌ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ الْعَثُورَ عَلَيْهَا... فَرَبَّمَا...

رَبَّمَا... وَلَاذًا بِالصَّمْتِ وَهُوَ يَنْظُرُ مَلِيًّا لِلَيْلَى فَشَجَّعَتْهُ لَيْلَى بِانْفِعَالٍ... رَبَّمَا

مَاذَا...؟ وَخَلَعَتْ عَمَامَتَهَا عَنْ رَأْسِهَا فَتَسَاقَطَ شَعْرُهَا الْأَسْوَدُ عَلَى كَتِفَيْهَا.

فَتَشَجَّعَ قَائِلًا:

– رَبَّمَا تَكُونِينَ هِيَ فَأَنْتِ شَدِيدَةُ الشَّبهِ بِأَخْتِكَ الْأَمِيرَةِ..

قَفِزَتْ لَيْلَى مِنْ مَكَانِهَا وَقَدْ اشْتَدَّ انْفِعَالُهَا:

– أُخْتِي؟.. لِي أُخْتٌ؟ هَلْ رَأَيْتَهَا؟

أَمْسَكَ فَهْدٌ بِذِرَاعِهَا وَأَجْلَسَهَا، لِيَهْدِيَّ مِنْ رَوْعِهَا، وَجَلَسَ صَاحِبُ

الْمَطْعَمِ أَمَامَهَا فَسَأَلَهُ:

– وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ مُسَاعَدَتَنَا فِي الْوَصُولِ إِلَى الْمَلِكِ؟

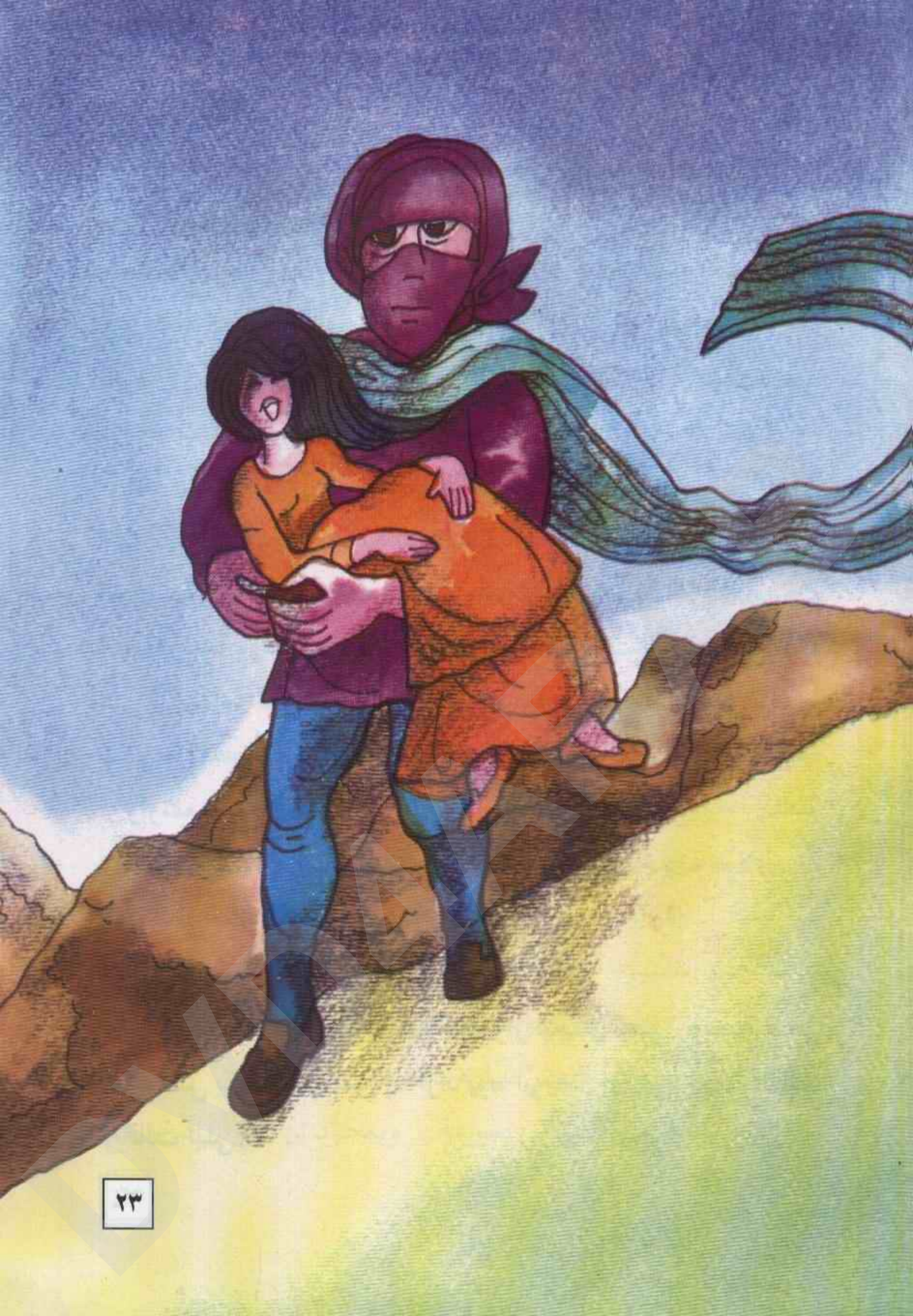
أَجَابَهُ الرَّجُلُ:

– كَانَ لِلْمَلِكِ طِفْلَةٌ صَغِيرَةٌ عِنْدَمَا مَرَضَتْ الْمَلِكَةُ بَعْدَ انْجَابِهَا لِلطِّفْلِ

الثَّانِيَةِ، انْشَغَلَ الْجَمِيعُ بِهَا وَلَكِنهَا قَضَتْ نَحْبَهَا وَلَمْ يَفِقْ الْجَمِيعُ مِنْ

الصَّدْمَةِ الْأُولَى إِلَّا عَلَى صَدْمَةٍ جَدِيدَةٍ وَهِيَ اخْتِفَاءُ الطِّفْلِ الْكَبِيرَةِ..

وَمِنْ يَوْمِهَا وَالْمَلِكُ فِي حَالَةٍ نَفْسِيَّةٍ سَيِّئَةٍ وَأَطْلَقَ يَدَ وَزِيرِهِ الْمَخَادِعِ



فِي كُلِّ شَيْءٍ الدَّوْلَةَ... وَلِهَذَا الْوَزِيرُ ابْنًا شَابًا مُتَغَطَّرِسًا وَصُولِيًّا
اسْتَطَاعَ بَدَهَائِهِ أَنْ يَسْتَمِيلَ قَلْبَ ابْنَةِ الصُّغْرَى لِتَوَافُقِ عَلَى زَوَاجِهِ
مِنْهَا، وَبِذَلِكَ سَيْفُوزَ هُوَ وَأَبُوهُ بِحُكْمِ الْبَلْدَةِ...

وَتَنَهَّدَ بِأَسَى وَقَالَ:

- كُنْتُ كَبِيرَ الطُّهَاءِ، وَكَانَ الْمَلِكُ يُحِبُّنِي وَيَثِقُ بِي ثِقَةً عَمِيَاءَ، وَقَدْ
دَبَّرُوا لِي مُؤَامَرَةً تَهْدِفُ إِلَى إِبْعَادِي عَنِ الْقَصْرِ، وَلَا أُدْرِي كَيْفَ وَقَعْتُ
فِي حَبَائِلِهَا بِكُلِّ بَسَاطَةٍ وَزَفَرِ زَفْرَةٍ حَارَّةٍ، وَاعْتَدَلُ فِي جِلْسَتِهِ...

فَقَدْ جَاءَنِي الْوَزِيرُ شَخْصِيًّا، وَأَعْطَانِي بَعْضَ الْمَسَاحِيقِ الَّتِي ادَّعَى
أَنَّهَا بُهَارَاتٌ جَدِيدَةٌ مُحِبَّةٌ إِلَى الْمَلِكِ، قَدْ أَحْضَرُوهَا مِنْ إِحْدَى الْبِلَادِ
الْجَنُوبِيَّةِ، أَثْنَاءَ رِحَالَاتِ الصَّيْدِ، وَأَمَرَنِي بِإِضَافَتِهَا إِلَى طَعَامِهِ. ثُمَّ
اتَهَمُونِي بِمَحَاوَلَةِ دَسِّ السُّمِّ لِمَوْلَايَ. وَبَعْدَمَا أُرْسِلْتُ إِلَى السِّجْنِ وَحُكْمِ
عَلَى بِالْإِعْدَامِ، سَاعَدَنِي الْوَزِيرُ عَلَى الْهَرَبِ إِلَى هُنَا، وَأَمْرُونِي بِإِطْبَاقِ
شَفْتِي وَإِلَّا سَيَتَمُّ تَسْلِيمِي لِلْسِّجْنِ ثَانِيَةً، وَتَنْفِيذِ حُكْمِ الْإِعْدَامِ...

وَارْتَفَعَ نَشِيحُ الرَّجُلِ:

- أَنَا بَرِيءٌ.. بَرِيءٌ.. أَقْسَمُ أَنْنِي لَمْ أَحَاوِلْ يَوْمًا خِيَانَةَ مَوْلَايَ، ثُمَّ
انْخَرَطَ فِي بَكَاءٍ مُرٍّ التَّفْتَتُّ لَيْلَى إِلَى فَهْدٍ...
ثُمَّ التَّفْتَتُّ إِلَى الطَّاهِي الَّذِي اسْتَطَرَدَ...

- عَلِمْتُ أَنَّهُ أَحْضَرَ أَحَدَ أَعْوَانِهِ الْأَشْرَارِ لِيَحْلُ مَحَلِي، وَيَصْبِحَ طَاهِي
الْمَلِكِ حَتَّى يَكُونَ تَحْتَ أَمْرِهِ إِذَا أَرَادَ يَوْمًا أَنْ يَدَسَّ أَيَّ شَيْءٍ بِطَعَامِ الْمَلِكِ.
قَالَتْ لَيْلَى:

– أَعِدُّكَ أَمَامَ اللَّهِ أَنْنِي سَأُظْهِرُ بَرَاءَتَكَ لِلْمَلِكِ ...

صَاحَ فَهَد: هَيَّا بِسُرْعَةٍ فَلَيْسَ لَدَيْنَا مُتَّسِعٌ مِنَ الْوَقْتِ ...

قَفَزَ هُوَ وَلِيْلَى إِلَى أَحَدِ الْجَوَادِيْنَ وَوَقَفَ الطَّاهِي مُتَّحِيْرًا لَا يَدْرِي
كَيْفَ يَعْتَلِي صَهْوَةَ الْجَوَادِ.. فَاسْتَأَى فَهَدَ وَنَزَلَ يُسَاعِدُهُ وَبَعْدَ جُهْدٍ
جَهِيْدٍ، دَفَعَهُ فَهَدُ أَعْلَى الْحَصَانِ فَسَقَطَ أَرْضًا إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ... ضَجَّ
الْإِثْنَانِ بِالضَّحِكِ فَخَجَلَ الطَّبَّاحُ بِشِدَّةٍ حَتَّى أَحْمَرَ وَجْهَهُ، فَاقْتَرَبَتْ
لَيْلَى مِنْهُ مُحَاوَلَةً الْكَفِّ عَنِ الضَّحِكِ ...

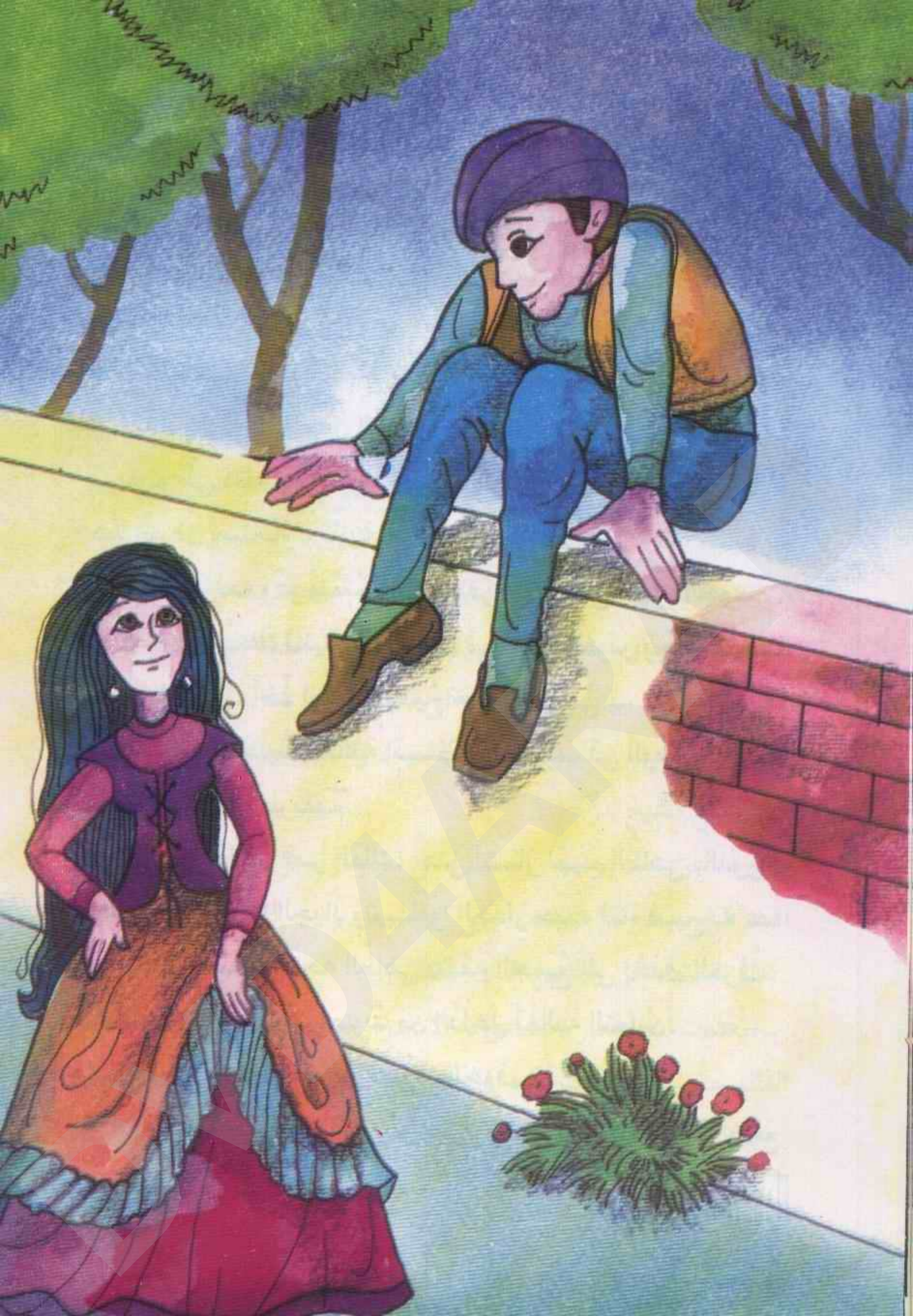
وَرَبَّتَتْ عَلَى كَتِفِهِ وَقَالَتْ وَهِيَ تُغَالِبُ الضَّحِكِ ... هَلْ شَعَرْتَ بِالْمِ؟ ..
هَيَّا انْهَضْ وَسِنْحَاوُلْ ثَانِيَةً ...

حَاوَلًا مَعًا رَفَعَهُ وَهُوَ يُتَمَتِّمُ حَتَّى اسْتَقَرَّ أَحْيْرًا عَلَى صَهْوَةِ الْجَوَادِ ...
فَضَجَّ الْإِثْنَانِ بِالضَّحِكِ ثَانِيَةً، فَقَدَّ جَلَسَ فِي وَضْعٍ مَعْكُوسٍ وَجْهَهُ مُتَّجِهًا
إِلَى ذَيْلِ الْحَصَانِ. أَخَذَ الطَّاهِي يَصِيحُ حَانِقًا انْزِلُونِي ..

وَأَخْيْرًا فِي الْمَحَاوَلَةِ الثَّلَاثَةِ اسْتَطَاعَ الرُّكُوبَ فِي الْوَضْعِ الصَّحِيحِ
وَانْطَلَقَ الْجَمِيْعُ فِي طَرِيقِهِمْ ...

وَمَا إِنْ اقْتَرَبُوا مِنْ قَصْرِ الْمَلِكِ، حَتَّى أَشَارَ لَهُمُ الطَّاهِي بِالْدَوْرَانِ
إِلَى الْخَلْفِ، وَتَرَكُوا الْجِيَادَ وَتَسَلَّقُوا الْجِدَارَ حَيْثُ فَنَاءٌ فَسِيحٌ بِهِ عِدَّةُ
غُرْفٍ لِخَدْمِ الْقَصْرِ. اتَّجَهَ الطَّاهِي يَتَّبِعُهُ الْجَمِيْعُ إِلَى إِحْدَى الْغُرْفِ،
وَطَرَقَ بَابَهَا بِرَفْقٍ ... أَتَى صَوْتُ مِنَ الدَّاخِلِ يُغَالِبُهُ النِّعَاسُ، ... مَنْ ...
أَجَابَهُ الطَّاهِي بِصَوْتٍ خَفِيضٍ مَمْلُوءٍ بِالْخَوْفِ:

– افْتَحْ يَا صَدِيْقِي الْبِسْتَانِي بِسُرْعَةٍ ... وَبِمَجْرَدِ أَنْ فَتَحَ الْبَابَ انْدَفَعَ



الثلاثة إلى الداخل وأصدوا الباب دونهم... ووقف البستانى يطالعهم
بذهول وهو لا يفهم شيئاً، اقترب منه صديقه الطاهى وأمسك بكتفه
وهزها برفق وهمس:

- أفق فنحن في حاجة لمساعدتك يا صديقى...

وبعد أن استرد البستانى جأشه وقصوا عليه قصتهم تنهد بارتياح:

- إذن سيظهر الحق..

أجابه فهد بصوت عميق لا بد أن يظهر الحق مهما تأخر..

في صبيحة اليوم التالى كانت الأميرة الصغيرة تتمشى بحديقة

القصر، فقابلها البستانى مرحباً مبشراً:

- مرحباً بمولاتى الأميرة... قد غرست أجمل الأزهار في أقصى

طرف الحديقة لأزين بها القصر في يوم عرسك...

فابتسمت الأميرة... وانطلقت وهى تتساءل ضاحكة:

- أين تلك الأزهار؟

وبالقرب من حوض الأزهار، كان الثلاثة يقفون خلف الأشجار الكثيفة

يطالعونها، كانت شديدة الشبه بأختها بشكل أثار عجب الجميع،

فاندفعت ليلى من مخبئها يتبعها فهد وقد هزها الانفعال:

- أختى... أختى الصغيرة، أنا أختك التى خطفت منذ سنوات طويلة.

فتحت الأميرة عينيها، غير مصدقة نفسها... إنه نفس الوجه،

ونفس الشعر، ونفس الطول...

خرج الطاهى من مكمنه، وأمسك بذراع الأميرة وقال بسرعة:

- وَأَنَا بَرِيءٌ يَا أَمِيرَتِي وَسَأَقْصُ عَلَيْكَ كُلَّ شَيْءٍ ...
- جَلَسَ الْأَرْبَعَةُ فَوْقَ الْعُشْبِ وَأَخَذَ كُلُّ مِنْهُمْ يَسْرُدُ جِزَاءً مِنَ الْقِصَّةِ،
حَتَّى وَصَلُوا إِلَى آخِرِهَا... بَكَتِ الْأَمِيرَةُ وَعَانَقَتْ أُخْتَهَا، وَشَكَرَتْ
الطَّاهِيَّ كَثِيرًا وَهِيَ تَقُولُ وَدُمُوعُهَا تَتَسَاقَطُ:
- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ أَتَزَوَّجَ بِذَلِكَ الْوَعْدِ الشَّرِيرِ.
وَهُنَا انْشَقَّتِ الْأَرْضُ عَنِ ابْنِ الْوَزِيرِ الَّذِي جَاءَ يَبْحَثُ عَنْ خَطِيبَتِهِ،
فَرَأَى وَسَمِعَ كُلَّ شَيْءٍ وَصَاحَ بِصَوْتٍ مَلَأَهُ الْحَقْدُ وَالكَرَاهِيَّةَ.
- مَهَلًا... مَهَلًا...؟ إِلَى أَيِّنَ؟ هَلْ تَظُنُّونَ أَنِّي مِنَ السَّذَاجَةِ وَالْبَلَاهَةِ
إِلَى هَذَا الْحَدِّ؟ لَنْ أَتْرِكَ أَحَدًا مِنْكُمْ يَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ.



- وأشهر سيفه وتقدم وتعالَت الصرَخَاتُ فانطلق فهد إلى ابن الوزير وعاجله بضربة قوية أوقعته أرضاً ثم طار السيف من يده... ثم جذبته من ملابسه وأوقفه أمامهم، وصفعه على وجهه مراراً وسحبه إلى داخل غرفة البستانى، وأجلسه على أحد المقاعد وكبله بالحبال... وجلس الجميع أمامه فى انتظار الأميرة الصغيرة التى انطلقت إلى القصر، ودخلت مخدع والدها وبرفق أخبرته بكل شىء...

نهض الملك من فراش المرض واتجه مع حرسه الخاص إلى غرفة البستانى وما إن رأى ابنته ليلى حتى تعانقا وبكى الاثنان بكاءً أدمى قلوب الجميع، ثم أجلسوا الملك حتى يستريح، فاندفع الطاهى يجثو على ركبتيه أمام الملك، ويبكى ويحكى ما فعله الوزير...

التفت الملك إلى ابن الوزير الذى أطل الخوف من عينيه، ثم هز رأسه عدة مرات كمن يقرر شيئاً، ثم أمر الجند بإلقاء القبض عليه وعلى أبيه. وأمر الملك بإحضار فهد وقال له:

- أريد أن أكافئك على حسن صنيعك فاطلب منى ما تشاء...
انحنى فهد بأدب قائلاً:

- مولاي الملك... يعلم الجميع مدى كرمك وحسن معاملتك لشعبك، ولكن اسمح لى بتأجيل طلبى كى أذكر لك شيئاً أهم وأخطر من ذلك بكثير.. فأعداؤك بالبلدة الغربية، يعدون العدة للحرب والاستيلاء على بلادكم الآمنة.

صدرت عن ليلى صيحة مكتومة، والتفتت إلى أبيها وقالت:

- يَا وَيْلِي... كَيْفَ نَسِيتُ هَذَا الْأَمْرَ الْخَطِيرَ، أَكْفَهَرَ وَجْهَ الْحَاكِمِ
وَنظَرَ إِلَى فَهْدٍ وَلَيْلَى مُتَسَائِلًا:

لَمْ يَحْدِثْ مِنْ جَانِبِنَا إِسَاءَةٌ لِهَذِهِ الْبَلَدَةِ الشَّقِيَّةِ، فَكَيْفَ تَفَكَّرُ فِي شَنْ
الْحَرْبِ عَلَيْنَا؟!

فَذَكَرَتْ لَهُ لَيْلَى كَيْفَ اخْتَطَفُوهَا وَبَاعُوهَا فِي سَوْقِ الرَّقِيقِ، فغَضِبَ
الْمَلِكُ جَدًّا وَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ قَائِلًا:

- جَهِّزُوا الْجِيُوشَ بِسُرْعَةٍ، وَسَنَذْهَبُ لِنُؤَدِّبَهُمْ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ حَتَّى
يَكُونُوا عِبْرَةً لِكُلِّ مَنْ تُسَوَّلُ لَهُ نَفْسُهُ بِالْخَطْفِ وَالسَّلْبِ وَالنَّهْبِ دُونَ
مُرَاعَاةِ لِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ الَّذِي كَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ..

وَسُرَّعَانَ مَا تَمَّ إِعْدَادُ الْجِيُوشِ، وَكَانَ فَهْدٌ قَائِدًا عَلَى أُولَى الْكِتَائِبِ
الَّتِي سَتَهَا جَمُّ تِلْكَ الْبَلَدَةِ الَّتِي لَا تَعْرِفُ أَبْسَطَ مَعَانِي الرَّحْمَةِ، ثُمَّ
انْطَلَقَ الْإِثْنَانِ تَحْتَ جُنْحِ الظَّلَامِ حَتَّى وَصَلَا إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي أَقَامَتْ فِيهِ
لَيْلَى مَعَ الشَّيْخِ الْعَجُوزِ الَّذِي اشْتَرَاهَا مِنْ سَوْقِ الْعَبِيدِ، فَرَفَعَتْ لَيْلَى
صَوْتَهَا وَهِيَ تَدُقُّ الْبَابَ:

- افْتَحْ لَوْلَدِكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ الْعَجُوزُ.

- فَفَتَحَ الْبَابَ وَظَهَرَ الشَّيْخُ الْعَجُوزُ وَأَثَارُ النِّعَاسِ تَبَدُّو عَلَى وَجْهِهِ...
فَقَالَ فَهْدٌ وَهُوَ يَجْذِبُهُ إِلَى صَهْوَةِ جَوَادِهِ:

- أَسْرِعْ قَبْلَ أَنْ نَشْنَ الْهَجُومَ فِي الْفَجْرِ عَلَى الْبَلَدَةِ، جَلَسَ الشَّيْخُ الْعَجُوزُ
خَلْفَ فَهْدٍ وَتَشَبَّثَ بِهِ جَيِّدًا وَانْطَلَقَ الْجَمِيعُ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى الْبَلَدَةِ الشَّرْقِيَّةِ.
وَقَبْلَ الْفَجْرِ شَنَّتِ الْبَلَدَةُ الشَّرْقِيَّةُ الْحَرْبَ عَلَى الْبَلَدَةِ الْغَرْبِيَّةِ،

وأبلى الجميع بلاءً حسناً، وعادوا مُنتصرين... ثم التفت الملك إلى
فهد وصافحه بحرارة شديدة قائلاً:

– أنت بطلٌ عظيمٌ وقد أسديت لي أعظم الخدمات ولم تطلب مني شيئاً...

– فانحنى فهد أمامه ثم قال بأدب:

فليسمح لي مولاي الملك بطلب شيء...

ضحك الملك ورفع صوته وهو سعيد:

– اطلب ما شئت...

تنحنح فهد ونظر للأرض بخجل وقال:

– اسمح لي يا مولاي أن أطلب منك يد الأميرة ليلي وأعدك أن أكون

لها نعم الزوج طيلة حياتي...

نظر الملك لابنته التي ابتسمت بسعادة ونظرت إلى الأرض باستحياء..



فَأُقِيمَتِ الْأَفْرَاحُ وَتَعَالَتِ صِيحَاتُ الشَّعْبِ بِالْفَرَحَةِ بِالنَّصْرِ وَبَعُودَةِ
الْأَمِيرَةِ، وَزَوَّجَهَا مِنْ بَطْلِ مِغْوَارٍ حَقَّقَ نَصْرًا عَظِيمًا لِلْوَطَنِ...
وَكَانَ حَفْلًا عَظِيمًا شَهِدَتْهُ الْبَلَدَةُ كُلُّهَا، وَكَانَتْ لَيْلَى تَرْفُلُ فِي ثَوْبِ
زَفَافِهَا كَالْفَرَّاشَةِ الْجَمِيلَةِ وَبِجَوَّارِهَا يَقِفُ فَهْدُ الَّذِي هَمَسَ فِي أُذُنِهَا:
- أَعَدَدْتُ لَكَ مُفَاجَأَةً سَتَزِيدُ فَرَحَتَكَ.. انظُرِي خَلْفَكَ..

نَظَرَتْ لَيْلَى فَإِذَا بِأَمِّ فَهْدِ الَّتِي تَوَلَّتْ تَرْبِيَّتَهَا وَأَسْبَغَتْ عَلَيْهَا مِنَ الْعَطْفِ
وَالشَّفَقَةِ مَا جَعَلَهَا تَظُنُّ أَنَّهَا أُمُّهَا... احْتَضَنَتْهَا لَيْلَى وَهِيَ تَصِيحُ:
- أُمِّي... أُمِّي الْحَنُونِ.

أَمْسَكَتِ الْأُمُّ بِوَجْهِ لَيْلَى بَيْنَ كَفَيْيْهَا وَنَظَرَتْ مَلِيًّا إِلَى عَيْنَيْيْهَا
السُّودَاوَتَيْنِ الْوَاسِعَتَيْنِ.. وَقَالَتْ:

- لَيْلَى حَبِيبَتِي... تَأَلَّمْتُ كَثِيرًا لِفِرَاقِكُمَا... وَقَدْ انْتَقَمَ اللَّهُ لَنَا مِنَ
الرَّجُلِ الْآثِمِ الَّذِي اخْتَطَفَكَ وَلَنْ يَعودَ مَرَّةً أُخْرَى...
قَبَلَتْهَا لَيْلَى وَقَالَتْ: يَكْفِيْ إِنْ نِيْ عَدْتُ لِأَبِي، وَإِنَّكَ مَعَنَا هُنَا وَسَتَظَلِينِ
مَعَنَا إِلَى الْأَبَدِ.. قَالَ الْمَلِكُ بِصَوْتِ عَمِيقٍ:

مِنَ الْآنَ لَا بَدَّ أَنْ يَسُودَ الْعَدْلُ... وَلَنْ أَسْمَحَ لِأَحَدٍ بِأَنْ يَرْتَكِبَ آيَةَ
جَرِيمَةٍ وَلَوْ بِسَيِّطَةٍ... وَأَشَارَ إِلَى فَهْدٍ وَاسْتَطْرَدَ:
وَسَتَكُونُ مَعِي -دَائِمًا- لِتُسَاعِدَنِي فِي كَشْفِ الْمُؤَامِرَاتِ وَالذَّسَائِسِ
لِتَعْمَ السَّعَادَةُ أَنْحَاءَ الْبِلَادِ..

ثُمَّ صَدَحَتِ الْمَوْسِيقَى وَارْتَفَعَتِ الْأَعْلَامُ، وَعَلَتِ الضَّحِكَاتُ حَتَّى
وَصَلَتْ عَنَانَ السَّمَاءِ.